القرار الخاص بتقسيم فلسطين، ولتؤكد، بذلك، ان الشيء الهامّ بالنسبة الى الدبلوماسية السوفياتية آنذاك، كان انهاء الانتداب البريطاني عن فلسطين بأية طريقة كانت. ومع ذلك، وبصرف النظر عن مسألة تعاطف السوفيات مع القضية الصهيونية او معارضتهم لها من الوجهة المبدئية، كان لا بد للدبلوماسية السوفياتية من ان تواصل رهانها الى نهايته. فقد أظهرت موسكو حماساً ملحوظاً في تأييدها للدولة اليهودية، بعد ان ساعدت على انشائها. وهكذا، فقد اعترض الاتحاد السوفياتي، بعد اندلاع المعارك بين العرب واليهود في فلسطين، على مشروع قرار دولي يطالب القوات الصهيونية بالانسحاب الى المناطق التي حدّدها لها قرار التقسيم بعد ان تخطّت هذه الحدود؛ كذلك اعترض على مهمة وسيط الامم المتحدة، الكونت برنادوت، واعتبر ان اقتراح الهدنة الذي قدّمه الوسيط الدولي «شجّع الذين بدأوا بالعدوان على فلسطين»؛ كما عارض البحث في قضية اللاجئين الفلسطينيين في المحافل الدولية، وخصوصاً داخل أجهزة الامم المتحدة، الاّ بعد ربطها بالبحث في قضية اللاجئين اليهود في اوروبا(٥).

المرحلة الثانية؛ خيبة الأمل

كشف مجرى الاحداث التي تتابعت على ساحة الشرق الاوسط، بعد قيام اسرائيل، ان السياسة التي اعتمدتها الزعامة الستالينية ازاء قضية المنطقة كانت تقوم على تقديرات خاطئة بصورة كلّية. وما لبثت أوراق الرهان السوفياتي على «الدولة الجديدة» ان بدأت بالتساقط، ورقة في اثر ورقة. ففي مجال الوضع الداخلي، جاءت نتائج انتخابات الكنيست الاسرائيلي الاولى، العام ١٩٤٩، لتبيّن ان اسرائيل ليست، ولن تكون، ذات توجّه اشتراكي، أو حتى ديموقراطي شعبي، كما كان قادة الكرملين يأملون. وفي مجال السياسة الخارجية، كان انحياز اسرائيل الى جانب الاميركيين في حرب كوريا العام ١٩٥٠ بمثابة الضربة القوية التي مُنيت بها حسابات موسكو وتقديراتها لحقيقة الوضع في اسرائيل، حيث تأكد لقادة الاتحاد السوفياتي، بالمحسوس، ان اسرائيل لم تخيّب آمالهم في انها لم توفّر لهم موطىء قدم في منطقة الشرق الاوسط وحسب، بل انها باشرت بممارسة دورها كموقع متقدّم يعمل في خدمة مصالح الدول الغربية. لكن السيىء في الأمر، بالنسبة الى الدبلوماسية السوفياتية، ان تصدّع الوهم الذي بنته حول الدور الاسرائيلي في المنطقة ترافق مع شعور منغّص بأن سياسة دعم اسرائيل فرضت على موسكو دفع ضريبة سياسية مزدوجة؛ فمن ناحية أولى، أدّى قيام اسرائيل الى تحريك المشاعر «القومية» عند اليهود السوفيات، وهي الظاهرة التي تقاطعت مع مطالبة اسرائيلية مستمرة بتوفير تسهيلات أكبر وأكبر من اجل السماح ليهود الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية بالهجرة الى اسرائيل؛ ومن ناحية أخرى، انعكس دعم الاتحاد السوفياتي لاسرائيل، بشكل مباشر، على حركة الاحزاب الشيوعية المحلية، التي وجدت نفسها، داخل المنطقة العربية، محاصرة وسط موجة عارمة من العداء الشعبي الموجّه ضد السوفيات وحلفائهم، وهو ما سهّل على الحكومات القائمة تنظيم حملاتها المعادية للشيوعيين، حيث «أدّت المعادلة التبسيطية التي ساوت بين الشيوعية والصهيونية الى نتيجتين أساسيتين، هما عزلة الاحزاب الشيوعية المحلية، وضعفها»(٦).

وهكذا، فقد بدأت علاقات موسكو وتل ـ أبيب، منذ أوائل الخمسينات، تدخل مرحلة مدّ وجزر عكست وجود تحوّل جوهري في نظرة الاتحاد السوفياتي تجاه اسرائيل. فعلى الرغم من ان العلاقات بين الجانبين تلقّت، العام ١٩٥٤، دفعة الى أمام عندما تمّ رفع درجة التمثيل الدبلوماسي فيما بينهما من مستوى المفوضية الى مستوى السفارة، الاّ ان هذه الخطوة جاءت في أعقاب أزمة عاصفة